



فوزية الجار الله

أدري .. لكنك تأتي كالدفق المشع الذي يطوقني .. انزلق داخل كوكبك حيث لا صمت ولا تعب .. عذوبة تكتسح كل دفعة وكل آهة وكل التفاتة حائرة .. وتكون أنت .. لا شيء آخر .. فرح يغتال موجات القتامة اللزجة .

مجنونة أنا أزرع أصابعي في أشيائك وأملأ الهواء بخطوط متلاطمة تحدثني عنك .. واتخيلك استحلحت نهراً تغتسل فيه همومي .. وأمرغ فيه جيبيني .. وأتخيلك سماء مترامية وأنا غيمة تنيه فيك سحراً وألقاً ..

ثم أكون طائراً أبيض يعيش الحرية الملونة .. يرفض كل أشكال القيود إلا أن يكون سياجاً رائعاً داخل عينيك ..

وحين ينصهر الفيض بالفيض .. استعيد الكلمات .. كل حرف يمتشق لونا وشكلاً وصورة .. كل حرف .. يشرب .. ينقب قائماً على أطراف أصابعه .. يحدثني عن أشياء لا تتكرر حين تنحسر .. عن الجفاف حين يقتحم حقولك وأراضيك المخضبة .. عن قسوة الغضب فيك .. عن إشاحة جفنيك .. عن قيد يطوق معصميك .. عن إغماء سحيق يسقط فيه كل من حولك .. عن قهر أثقل عاتقك .. عن سواد يأبى إلا أن يعقل خطواتك .

تنغرس الكلمات في أحداقي .. تعبر صمتي .. تشع كالقناديل .. تجلجل كالأجراس .. أفض أغلفتها .. هنا رمز

اقطف نفسي من بين الجموع وانتحي في موضع تندفق فيه ذا كرتي .. تنعتق من قيود الشمع وتراكمات الأغلفة وأعلم إنني أستلذ تعبي وأخلو بهمي .

ترحل كل الأشياء وتبقى وحدتي .. تقترب .. تلتصق أحداقنا وكأنما نحن لا نفترق .. ونبتعد .. نوغل عبر المسافات . شرخ غائر يمتد بيننا فكأنما نحن لا نلتقي ، لا نألف .. بسبابتي أضغط الزر الصغير .. يتصاعد اللحن .. أغرق في اجوائه ولا يغريني سواه وأراك حولي هنا . فوق معصمي أنشودة وفي كفي إغفاءة وبين حاجبي فراشة محلقة وفي عيني يشنى حرف متأق رقيق يحمل لون الوجع وإيقاع الثلج وصرير الخوف حين ينحشر بين رأسك ومنكبك .. هذا النغم الرائع الجميل كل فاصلة منه تحمل لي إمضاء شفاقة تنهمر كالحلم البنفسجي المضيء يهمني على أهدابي ويلتف حول عنقي .

وليلة تمطرني السنابل الخضراء .. تأتيني في حلم .. يندلق الضوء في داخلي .. وجع يرقد معي يستكين تحت غطائي لكن حضورك يغتال كل ذرة وجع ويدحر الزحف الرمادي المؤلم .. يكتسح كل الأشواك وينتزع منابت الخوف .. ليلة تزورني السنابل الخضراء في حلم تهزج أصابعي فرحاً وتشدو الأرض بنغمات فريدة تمتزج بأنفاسي .. مع كلماتي .. تأتي من أين لا أدري .. كم من الزمن يمتد حضورك .. لا

لتلك التي تشبه الريح في انتشارها والمستحيل في نأيها .
هي أنا . . هنا عتاب يشهر إصبعاً اتهامياً تجاهي . . وهنا
غضب ناثراً من آثار كوامنه . . كل هذه الكلمات انفضت
عني أنا أم . . لا . .

لا . . واحدة تردع حيرتي . . لا . . هي أنا ولا سواي .

كيف يكون الانتظار حارقاً . . جافاً . . لاهباً . . أتحمس
الجدران بيدي . . تصطدم يدي بالفراغ . . تنشط الدقائق
والثواني كالموجة تلد الأخرى بلا توقف . . هنا نهاية
الانتظار . . مساحات ورقية بيضاء . . كلمات انتزعها من
تجاويف الأزمنة ومواضع الانكفاء ثم تجتمع بترتيب العقول
الأخرى سفيراً من الأنعام . . شريحة من كليتنا . . لا أحد يعلم
بأن ثمة حديثاً صامتاً كامناً هنا . . يتصاعد كالأبخرة العطرية
الدافئة . . تخرج من أعمار الضوء . . تتولد بين النقط
والفواصل . . هذا كاف لا قناعي بأن حدوداً واحدة ترمي
حصارها حولنا .

أفر كالمهرة . . أنزلق كالعاصفة . . أصعد درجات هوائية
واقترح أنفاقاً لا يراها سواي . كلما ذكروني بأنه ليس ثمة أنفاق
وليس ثمة سلالم . . تصرخ لا . . داخلي . . ومرة أخرى
أقطف نفسي من بين الجموع وأختلي بهمي . . ولتضرب
الأجنحة المشردة موعداً مع الأمان! لو أنك تدري كم قصاصة
ضممتها بلهفة وخبأتها بين دفتي كتيبي المدرسية . . كم من
التشكلات الصارخة انتزعتها ببراءة طفولية وأصقتها على
جدران القلب . كانت يدي تشهد بأنك قادم لأن بها خطوطاً
نثرت حدود تقاطيعك . . أغفو وأغفو وأنتظر . أختلس حواراً
من هذا الخضم . . يمتزج الحلم بالمستحيل :

- أنت تزرع الخوف في عقلي . . تشدني إلى أسلاك
شائكة من اللاوعي :

- تذكرني بأنك المهرة وأنك العاصفة تشرين الضوء في
ذاكرتي تنبش الألق في كل أشيائي .

- أي تناقض . . خطان متطاولان يحتفظان بمسافة
متساوية . . كل منهما يضرب في موضعه .

- ليس ذاك . . بل موضع للتلاحم . . التلاحم فقط .

كم كان الانتظار مقيتاً . . كم مرة احصيت خطواتك . .
وانفاساتك الرمادية . . كم مرة تتبععت أنثيالاتك، مرة
للانهار . . ومرة للغوص . . مرة للفرح . . ومرات أخرى

للسقوط في مستنقع من السأم .

وحين أبحث لا أجد . . لكنني أرطم . . فقط أرطم . .
ليال حالكة تسحقني . . أقلب الأوراق . . يضغط الليل على
صدري بقسوة وأتمنى لو ينكشف عن فجر مضيء يأتيني
بصورة . . حرف . . رمز صغير يدلني ويكشف الأستار لي .

كيف اشتبكت كل الخطوط وتداخلت المعاني؟! كيف
اختلفت واقعي بوهمي . . كيف اصطدم همي بهمي وألمي
بفرحي . . كيف استحال الفرج إلى خنجر ألم والألم إلى
اهزوجة فرح . . كنت هنا وكنت هناك . . لأنني لم أقل!!

أكان ينبغي أن أقول؟! أن أقدم تصاريح واضحة ناصعة
عن امتداد الدرب وعن موضع الحذر . . عن النقش فوق
الصخر والنقش فوق الجبين . . لو أنك تدري أن بعض
الكلمات تعبر دون صوت وأن بعض الروائح تندفق دون لون
لكنها تختفي في تفاصيل خوفنا . . في مقاطع حواراتنا . . في
اهتماماتنا الصغيرة المتناثرة .

أكان ينبغي أن أتحمس موضع قدمي الحافية في الرضاء
المتوحشة مغمضة العينين وأنا لا أدري إلى أي مدى تمتد
مساحة الرضاء هذه . وهل ثمة نهاية محتومة لها أن أدس
رأسي في كهف مظلم أجهله يطبق على أنفاسي . . يخنقني ولا
أدري هل ثمة خروج أم لا . .! مجازفة خطيرة ثمنها الفقد
الذي يغتال سنابل الفرح ويطمس معالم البقاء .

- لا . . للرحيل . . لا وحدها تعيد إليّ اتزان الذات
واستقرار العقل . . أه كيف ترحل؟ كيف لا تحمل هذه
الأرض خطوك . . كيف لا تحتويك هذه الشوارع . . كيف لا
تظلك هذه الغيمات التي تظلني . . أكان ينبغي أن أقول . .
كن خنجراً ينغرس في خاصرة الألم لتكون الاحتمالات
الجميلة معك وبك لنهزج معاً . . نتحد كذرات الشعاع
الواحد، نحلي أكداس الثلج لهيباً والانطفاء الرمادي اشتعالاً
وحياة جديدة .

أما أن لهذه المخاوف أن تردع؟ . . أما أن لهذا النهر أن
يتلألأ دقاً وارتعاشاً؟ . . أما أن لهذا النور أن يدثرنا . . هذه
الأجفان ما تفتحت على النور إلا وتذكر وما انسدت إلا على
صوت فريد صاعق كالذكرى .

أكداس الورق البيضاء والسوداء والملونة أمامي . .
أغوص داخلها وتنتشر داخلي . . ألثم الكلمات . . زوايا

مثلي .. قامة انثوية .. ربما تكون ممتدة ممشوقة أو قصيرة قليلاً .. سميئة .. لكنها لا توازيه .. إطلاقاً لا تماثله .. يؤكد إنها بأظافر مطلية وشعر مرجل معقوص إلى الخلف مليء بالدبابيس المعدنية أو ينسدل بشكل خصلات متماسكة أو نائسة .. بعينين ضيقتين أو واسعتين .. براقبتين أو شاحبتين .. بثوب رائع أو قبيح .. واسع فضفاض تتيه داخله أو ضيق يشدد بقسوة إلى حدود جسدها .

منذ متى كان وحتام يكون وأين كنت أنا بين هذا .. وذاك .. قبل أو بعد أو وسط الخضم .. نقطة حائرة .. لا ..

تتحدرد .. تصرخ .. تصطخب .. تهزني .. تنقبب أمامي .. تشل أقدامي عن الحركة .. تحجب السمع عني .. تخنق كلماتي .. تمتد داخل حنجرتي .. تكمم فمي .. تقذف بي في ثلج من الركود والتحجر .. في قاع صلد صخري باهت ..

وترحل إلي حيث لا أنا ..

يحتويني الملح وبقايا الشحوب ويوم استحضرت بقاياك انتصبت .. لا .. واحدة .. لا تغادر ذاكرتي .. تماوجت .. تمددت .. كبرت .. تكاثرت إلى سلسلة من اللآات .. امتدت إلى ما لا نهاية .

حائل

الصفحات .. الأعمدة .. النقاط .. تنزلق عيناى بسرعة إلى الصفحة المحبوبة البغيضة .. الحمقاء الذكية .. وأخبارنا وأخبارهم .. ماذا فعلوا وما سيفعلون .. تتلبسهم الأفتنة كالآخرين .

إنه هو .. يتمتع بإجازة .. لم يقل .. كان لا بد له من استرخاء مريح .. تتوالي الكلمات كالمسامير ..

مع .. مع ..

تهوي الكلمات كسهم من نار في أعماق اللحظة والثانية تتحول إلى شهاب نائر .. إلى مثقب يخترق عقلي .. مع من؟! ما كان معي ولا مع حزني ولا مع صمتي .. لم يكن معي حين استقرت الخطوات ولا كان معي حين تجمدت نظراتي .. حين احتميت بذاتي من ذاتي .. حين ارتميت بنفسي في أعماق نفسي وحدها هي التي تريحني وتلجم حزني .

مع السيدة .. سيدة .. كلمة همجية نائرة تتردد أصدائها في غابة مهجورة ..

لا بد أنها دعابة .. عبارة هزلية .. ولكن كيف؟! .. ألا زلت تمارسين حلمك مرة أخرى!!

لكنهم يقولونها هكذا .. قوية حادة كالمشرط .. امرأة

دار الآداب نقيم



الدكتور أحمد علي

طاهر حسين

رَجُلٌ وَفِكْرٌ وَعَصْرٌ